الانتفاضة في إطارها الاستراتيجي

د. هيثم الكيلاني

انقضت أربعة عقود من الزمن منذ النكبة، ولا يزال التفوّق العسكري الاسرائيلي، وتهديده القومي العربي، كما كانا منذ ذلك الحين، بل انهما ازدادا تفاقماً وخطراً، إذا ما أخذنا في الحسبان امتلاك اسرائيل السلاح النووي.

وفي غضون هذه المدة، التي اختلّ فيها ميزان القوى لمصلحة العدو وحلفائه، شهدنا تراجع الهدف الاستراتيجي العربي الذي حملت لواءه أول قيادة عسكرية عربية تأسست في أيار (مايو) ١٩٤٨، اذ كان الهدف، يومذاك، تحرير فلسطين كلها، ثمّ تراجع حتى تجسّد في تحرير الارض المحتلة في حرب العام ١٩٦٧، ثمّ بلغ به الامر، حيناً من الاحيان، ان يكتفي بمنع اسرائيل من احتلال أرض جديدة، في حرب جديدة محتملة. وهو يدخل، اليوم، في دوّامة شعارها «الارض مقابل السلام»؛ وهو شعار ذو مغزى جدّ هام، يعني، من بين ما يعنيه، اننا نحن العرب نملك السلام ونمسك بأزمته بين أيدينا، في حين ان اسرائيل تملك الارض. وكم يبدو هذا الشعار متناقضاً متهافتاً، حينما تكشف وقائع أربعة عقود من الصراع المسلّح ان اسرائيل هي التي تدفع المنطقة الى الحرب، لتحتل الارض ثمّ تملكها وتضمّها اليها بقوة السلاح، حتى بدا العرب وكأنهم غير قادرين على السلام، وعلى استرداد ما سلب من أرضهم.

وفي غضون تلك المدة، وبخاصة منذ العام ١٩٦٥ حتى أواخر العام ١٩٨٧ حين نشبت الانتفاضة، مرّت الثورة الفلسطينية بمراحل عدّة، جسّدت أشكال الكفاح الميداني في مقارعة العدو الاسرائيلي، وحدّدت مواقعه، كانت آخرها مرحلة الانكفاء التي تلت حرب العام ١٩٨٢.

واذا ما طبّقنا المقاييس التي أدّت الى تقسيم عمليات المقاومة الفلسطينية ومناشطها الى تلك المراحل، وهي في موجزها: أنواع العمليات وأشكالها، والقوى المشتركة فيها، ووسائلها، وأهدافها، ومواقعها، والنتائج التي وصلت اليها، اذا ما طبّقنا هذه المقاييس على الانتفاضة، يمكن القول ان مرحلة جديدة، هي المرحلة السابعة، قد بدأت في ١٩٨٨/١٢/٩، ولها صفاتها ومعالمها ووسائلها وأشكالها ومواقعها التي تميّزها عن المراحل السابقة.

وكان العمل الفلسطيني، في اثر حرب العام ١٩٨٢، وضمور نشاط المقاومة، وتضييق مجال حركتها، وتوزّع قواتها على عدة مناطق تمركز متباعدة، ولا حدود مشتركة لها مع فلسطين المحتلة، قد مال، في مرحلة الانكفاء، نحو الساحة الدبلوماسية العربية، والدولية، التي أخذت القضية تستقرّ وتجمّد في محافلها، كما مال نحو توسيع شبكة علاقاته ليستفيد منها في تحقيق أهدافه.

لقد تراكمت مؤشرات الى ان قضية فلسطين والاراضي المحتلة قد هدأ غبارها، وثلم سيفها،